من أجل العبور إلى الآخر

د. عماد الدين خليل

أن نخاطب الإسلاميين أنفسهم بأدبنا فذلك هو نصف الطريق.. ومن أجل إتمام المسيرة لابدّ من العبور إلى الآخر.

والذين يتحدثون بالعربية ويكتبون بها يمكن أن يصلهم خطابنا الأدبي هذا، ولذا فان المعني (بالآخر) في هذا المقال هم أولئك الذين لا يعرفون العربية قراءة وكتابة وتحدّثا.

وهم صنفان : المسلمون من غير العرب، وغير المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها..

والحق أن (رابطة الأدب الإسلامي العالمية) لم تأل جهدا في توسيع قاعدة التواصل، وتعميقه، وتمتين وشائجه بين الأدباء الإسلاميين من العرب ومن إخوانهم المسلمين في كل مكان، ولقد قطعت في هذا السبيل شوطا طيبا بمجلات تصدر باللغات الأصلية للشعوب الإسلامية، وبترجمات متبادلة من العربية واليها تتمحور عند الهمّ الأدبي الإسلامي.

فالمقصود إذن هم غير المسلمين، وبخاصة أولئك الذين ينتمون إلى اللغات العالمية الأكثر انتشارا في الأرض : الإنكليزية والإسبانية والفرنسية.. إلخ..

لقد عبرت آدابهم إلينا منذ زمن بعيد، ولم يبق ثمة صغيرة ولا كبيرة مما أنجزوه إلا وشقّ طريقه إلى العقل العربي والذائقة العربية، ومارس دوره الخطير في إعادة بناء الثقافة العربية التي جنحت بنخبها السبل وتناوشتها رياح التشريق والتغريب.

بعض معطياتنا العربية، خارج دائرة الإسلامية، عبرت إليهم وترجمت إلى أكثر من لغة، ولكنها - للأسف - لم تكن لتعكس الوجه الأصيل لثقافة هذه الأمة ودينها وعقيدتها ورؤيتها الحضارية المتميزة.

أفلم يحن الوقت لأن نعبر نحن إليهم بأدبنا الإسلامي الذي يعكس تصوّرنا للحياة والوجود والمصير، فنساعد بقوة الخطاب الأدبي وقدرته التأثيرية البالغة على تحقيق نوع من التقارب بين الطرفين.. على إزالة الدخان الذي يمنع الغربي - لأسباب لا يتسع المجال لذكرها - من رؤية أكثر عدلا وإنصافا وموضوعية للخبرة الإسلامية في حلقاتها كافة ؟!

إن فيلما معروفا (كالرسالة) الذي أخرجت نسخته الإنكليزية لكي تخاطب الغربيين، حقق الكثير في عواصم الغرب بخصوص تعرّف القوم هناك على حقيقة شخصية رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ودعوته اللتين تناوشتهما على مدى مئات السنين سموم الخصوم والأعداء. والمطلوب أن نمضي قدما، ليس فقط على مستوى تقديم أنفسنا وعقيدتنا وتاريخنا سينمائيا وتلفازيا.. وإنما أيضا: الصحيفة والكتاب.. وأن نفكر بالجدّية المطلوبة، بمشروع للترجمة يأخذ على عاتقه مهمة انتقاء النصوص الأدبية الإسلامية الأكثر نضجا وإحكاما فنيا، في سياق الأجناس الأدبية كافة، ونقلها إلى لغات القوم هناك.. أو على الأقل اللغة الإنكليزية الأكثر انتشارا.

إن على مؤسسة (عالمية) كرابطة الأدب الإسلامي العالمية أن تضع هذا في حسبانها رغم ما يكلف من جهد ويتطلب من مال.. ولكن رحلة الألف ميل تبدأ دائما بخطوة واحدة.. فلنبدأ بهذه الخطوة على بركة الله، ونتابع ردود الأفعال والنتائج التي سنحققها، ثم نمضي - في ضوء ذلك - إلى الخطوة التالية.

هذا زمن الستراتيجيات، أي الخطط بعيدة المدى.. بمعنى أن على رابطة الأدب الإسلامي أن تخطط لما ستفعله عبر السنوات الخمس أو العشر القادمة، ليس فقط على مستوى الندوات والمؤتمرات التي ستعقد، ولا على مستوى المجلات والكتب التي ستصدر.. وإنما -أيضا- على مستوى «العبور إلى الآخر» من خلال ترجمة بعض الأعمال الأدبية الإسلامية التي تنتقى بعناية على أيدي المتخصصين الإسلاميين في الأجناس الأدبية، أو التنظير، أو النقد التطبيقي، أو الدراسة الأدبية، وترتيب قائمة بهذه (المنتخبات) توزع على مدى الخطة الخمسية أو العشرية.. وحينذاك فقط، نستطيع أن نقول: إن أدبنا قد انتقل إلى (العالمية)، وان (الرابطة) التي تسهر عليه هي بحق رابطة عالمية ■